مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (1)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (1) 2019

الصّورة الشّعريّة للوجود وتجليّاتها الجماليّة في فلسفة نيتشه

الدّكتورة منال اسماعيل مرعي *

(تاريخ الإيداع 3 / 4 / 2018. قبل للنشر في 20 / 1 / 2018)

□ ملخّص □

يهدف هذا البحث في الصّورة الشّعريّة للوجود وتجليّاتها الجماليّة في فلسفة نيتشه إلى إبراز فكرةٍ جوهريّةٍ وهي:أنّ الوجود الّذي نحيا به ليس له تفسيرٌ واحدٌ، وإنّما تفسيراتٌ متعدّدةٌ، وبالتّالي فإنّنا عندما نختزل تفسير الوجود بالعلم أو بالعقل فقط، فإنّ ذلك سيكون مجحفاً بحقّ عالمنا وحياتنا ووجودنا. فالعلم لا يمثّل إلّا وجهاً واحداً من وجوه الإنسانيّة، وبذلك فإنّ كلّ رؤيةٍ لا تمثّل إلّا وجهة نظرها الخاصّة، وحتّى تكتمل الرؤية لا بُدّ لنا من إجراء تكاملٍ بين هذه الرّؤى ووجهات النظر، لن نقول جُلَّها، بل على الأقلّ في الحدّ الأدنى منها، فاتحين بذلك الأفق نحو رؤيةٍ إنسانيّةٍ شاملةٍ أعمقَ،عنوانها الفنّ، الّذي سيعيد التّوازن الاجتماعيّ بين العلم والعقل والدّين والأخلاق وسيحقّق للإنسان حسب نيتشه منظوراً جديداً، ليتسنّى له توسيع إمكانات تحقّقه الإنسانيّ في عالمه وأرضه، هذا التّحقّق الّذي لم يكتمل بسبب الدّور الّذي لعبته المصطلحات والتّصورات الميتافيزيقيّة، عبر تاريخ التّفكير الإنسانيّ، في تكريس فقدان الإنسان لقيمه الإنسانيّة الحقيقيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الفلسفة، العلم، الفنّ، التّراجيديا

* مدرّس– قسم الفلسفة– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (1)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (1) 2019

The Poetic image of Existence and its aesthetic manifestations in the philosophy of Nietzsche

Dr. Manal Ismail Meree*

(Received 3 / 4 / 2018. Accepted 20 / 1 / 2018)

□ ABSTRACT □

This research in the Poetic of Existence and its aesthetic manifestations in the philosophy of Nietzsche aims to clarify an essential idea which is that the existence. we live in doesn't have a single human facet or interpretation, but holds many. Therefore to explain this existence only by science or mind will be unfair to our lives, world, and existence. For science only represents one facet of humanity, and every vision represents its own particular perspective, so the picture will be complete only if we combine as much of these vision and perspectives as possible, we won't say all but at least the minimum.Thus opening the horizon to a deeper view of humanity, its title is the art.Which will restore the social balance between science, mind, religion and morality, and will make man achieve humanity in his world and land. This achievement,which has not yet been complete due to the role of metaphysical concepts of all kinds, and their strong echoes through history, of making man lose his true values.

Keywords: Philosophy, Science, Art, Tragedy.

* **Assistant Professor- Department of Philosophy - Faculty of Arts and Human Sciences - University of Damascus – Syria.**

مقدّمة:

فريدرش نيتشه[1] هو أحد أعلام الفلسفة الألمانيّة الحديثة، وهو يعدّ من أكثر الفلاسفة الّذين تعرضّت فلسفتهم لسوء الفهم، ولسوء القراءة، ولسوء التّحريف سياسيّاً مع النازيّة والفاشيّة، ودينيّاً وأخلاقيّاً تم تصنيف فلسفته على أنّها فلسفةٌ ملحدةٌ تنادي بإعلان موت الله، وعلى أنّها فلسفةٌ ضد العقل تبعث على الفوضى، وأنّها فلسفةٌ ضد الدّين تريد هدم ركائزه تحت مسمّى تحطيم الأصنام، وأنّها فلسفةٌ ضدّ الأخلاق بحجّة أنّها فلسفةٌ تدعو بجهرٍ إلى اللّاأخلاقية، ليس ذلك فقط، فقد وسمت فلسفته بأنّها فلسفةٌ ضدّ مفاهيم كرامة الإنسان وقيمة الإنسانيّة...إلخ من النّعوت الكثيرة الأخرى، الّتي لا تزال للأسف حتّى هذه اللّحظة تلاحق فلسفته. من هذا المنطلق سنحاول في هذا البحث أن نستعرض ونوضّح بعض أفكار نيتشه بالتّحليل والنّقد، آملين أن نتيح للقارئ إعادة النّظر في الأحكام الّتي اعتبرت كمأخذٍ ضدّ فلسفة نيتشه، فاتحين الأفق لتأويلٍ جديدٍ ورؤيةٍ جديدةٍ بعيداً عن الآراء والأحكام الشّخصيّة المسبقة الّتي استندت على التّأويلات الخاطئة، والّتي قادتنا إلى الانشغال بتأويلات فلسفة نيتشه ونسيان فلسفته بذاتها، تلك الفلسفة الأصيلة العمق في إنسانيّتها.

لذا سنستقرأ قدر المستطاع والإمكان توضيح رؤية نيتشه لكلٍّ من: العلم والفلسفة، وتبيان لماذا كان نقده عنيفاً ضدّهما ولأيّ اعتبارات كان ذلك؟ ومن ثم سنحاول الولوج إلى فكرته الّتي وجد فيها ضالّته، وهي الفنّ التّراجيدي، وسنبين كيف ولماذا انتهى نيتشه بفلسفته إلى هذا الخيار، وماذا كانت مبرّراته في ذلك؟

كلّ هذه الأسئلة سنحاول التّطرّق لها لعرض الإضاءة على طروحات نيتشه وفلسفته، فوجودنا وحياتنا وعالمنا لم ولن يكون مقصوراً فقط على تفسيرٍ أو تأويلٍ واحدٍ، لأنّ حكماً من هذا القبيل سوف يختزل حياتنا وسيخفي جوهرها، وسيسقط روعة وصيرورة هذه الحياة بعفويّتها ولا منطقيّتها أحياناً. انطلاقاً من ذلك سيكون بمقدور الفنّ أن يفتح الأبواب الموصدة بما يملك من قوّةٍ وفعاليّةٍ في نسج التّنافر عبر توافقٍ هارمونيٍّ، من أجل رؤية الحياة من كلّ جوانبها، بكل خباياها ومرارتها وقسوتها وجمالها، وبكلّ أحزانها وأفراحها، عبر ما يحمله الفنّ من تأمّلٍ إنسانيٍّ عميقٍ لإنسانيّة الإنسان نفسه.

إشكاليّة البحث:

يذهب هذا البحث بعنوانه الموسوم: الصّورة الشّعريّة للوجود وتجليّاتها الجماليّة في فلسفة نيتشه إلى توضيح فكرةٍ جوهريّةٍ وهي: أن الوجود الّذي نحيا به ليس له وجهٌ واحدٌ أو تأويلٌ واحدٌ، بل يحمل عدّة وجوهٍ وتأويلاتٍ إنسانيّة، وبالتّالي أن نفسر هذا الوجود بالعلم فقط أو بالحقيقة العقليّة المنطقيّة فقط، فهذا لن يكون كلّ شيءٍ، وهذا سيجعل من حكمنا مجحفاً بحقّ الوجود، لأنّ كلّ رؤيةٍ تمثّل وجهة نظرها الخاصّة، وبالتّالي فإنّ الرّؤية تكتمل عندما نفتح الأفق لاعتباراتٍ وتأويلاتٍ جديدةٍ ومختلفةٍ عمّا تمّ تقديمه عبر تاريخ التّفكير الإنسانيّ.

عبر هذه الرّؤية العميقة المختلفة، أدرك نيتشه أنّ الحقيقة، حقيقة الوجود حمالة أوجهٍ، بمعنى أنه يمكن للحقيقة أن يكون لها عدّة أشكالٍ وصيغٍ: كالرّؤية الجماليّة والأنطولوجيّة والوجوديّة والعلميّة، وكذلك الفنيّة.....إلخ. ما يعني ضمناً أنّ العالم أو الوجود مليءٌ بالإمكانات والتّأويلات وحتّى يتحقق تقدّم البشريّة لا بُدّ من مراعاة ضرورة إعادة التّوازن بين الفلسفة والعلم والفنّ، بمعنى أنّه ينبغي علينا أن نحقّق التّوازن الاجتماعيّ الفلسفيّ – الأخلاقيّ في مقابل التّوازن العلميّ.

---

[1] فريدرش نيتشه (Friedrich Nietzsche: 1844-1900)، فيلسوفٌ وشاعرٌ وناقدٌ لغويٌّ ألمانيٌّ، لُقّب بفيلسوف المطرقة، شكّلت فلسفته نقداً عنيفاً لحضارة وأخلاقيّات الغرب.

أمّا لماذا اختار نيتشه الفنّ وعوّل عليه كثيراً فهذا ما سنحاول استنطاقه من فهمنا ونقدنا لنصوص فلسفة نيتشه.

أهميّة البحث وأهدافه:

يهدف البحث إلى توضيح المهمّة الأساسيّة الّتي أناطها نيتشه بالفنّ والفلسفة، وإلى تبيان الدّور الكبير والوظيفة الكبرى لهما في مقابل العلم، على اعتبار أنّ الفلسفة تفتح آفاق التّفكير بالكلمة، والفنّ يوضّح هذه الآفاق عبر لغة الفنّ، فالفنّ ليس مجرّد ثقافةٍ أو حضارةٍ، بل الفنّ أعمق من ذلك بكثيرٍ إنّه تأويلٌ جماليٌّ للوجود، بمعنىً آخر: العقل والعلم يفهمان الوجود من الخارج، بينما الفنّ قادرٌ على الوصول إلى داخل أعماق الوجود، لذلك كان هدف نيتشه الموصول عبر هذا الفنّ هو إخراج حقيقة الوجود إلى الضّوء، بمعنى فتح الباب للقيم الجماليّة والفنيّة والشعريّة لإظهار قيمة هذا الوجود من النّاحية الجماليّة، فالفنّ برأيه يحمل بعداً ميتافيزيقيّاً، إضافةً إلى البعد الجماليّ، لذا لا بُدّ من دعوةٍ إلى ضرورة رؤية الوجود من منظارٍ جديدٍ بعيداً عن الأنماط التّقليديّة الّتي لطالما برأيه كبّلتنا وكبّلت طرائق تفكيرنا، وجعلتنا نتقبّل كلّ قيمنا دون أن نفكّر، ودون أن نحلل ودون أن ننظر في أسباب وجودها، وبالتّالي تقبّلنا كلّ شيءٍ دائماً على أنّه تابوهاتٌ مقدّسةٌ مطلقةٌ لا يمكن الاقتراب منها ولا حتّى نقدها.

من هذا المنطلق، كان لا بدّ من إعادة الاعتبار إلى توازننا الصّحيّ الاجتماعيّ، ولا بدّ قدر الإمكان من تجنّب السّقوط الّذي عاشه وعايشه الإنسان، هذا السّقوط الّذي تجلّى في العدميّة الّتي أسبغها الإنسان على كلّ تجليّات حياته، وعلى اعتبار ذلك، سيكون المشروع الفكريّ الّذي سيخرجنا ممّا نحن فيه ولا سيّما في المرحلة الأولى من حياة نيتشه: مرحلة تأثّره بفاغنر وبشوبنهاور[2] هو مشروع العودة إلى الفنّ، وبالأخصّ الفنّ التّراجيديّ، بما يحمل هذا الفنّ من ألمٍ وقيمٍ جوهريّةٍ قادرةٍ على إعادة الإنسان إلى ذاته وإلى وجوده وحياته، لكي يكون إنساناً قادراً تمام القدرة على إدراك الوجود عبر صيرورته وحركته وقسوته وطفولته البريئة الخلّاقة.

والسؤال الّذي يطرح نفسه: كيف ستتجلّى أبعاد هذا الفنّ النّيتشويّ، الّذي ينشده نيتشه في فلسفته؟ وهل التّعويل على الفلسفة والفنّ سيؤدّي المهمّة المبتغاة منهما؟ هذا ما سنحاول أن نتقصّى الاستدلال عليه في فلسفة نيتشه الجماليّة والفنيّة عبر هذا البحث.

منهجيّة البحث:

سنعتمد في هذا البحث على المنهج النّقديّ بطرقه المتعدّدة كالتّحليل والتّركيب والنّقد والمقارنة، لتحليل آراء نيتشه في الفلسفة والعلم، ومقارنتها بالفنّ، إضافة إلى اعتمادنا على المنهجيّة النقدية لتوضيح رؤيتنا حيال المسائل المطروحة.

الدّراسات السّابقة:

بعد البحث المطوَّل لم نجد بحثاً انفرد فيه باحثه في تبيان تقويض نيتشه لقدسيّة العقل وعلاقته بالعلم والفلسفة وإبراز الصّورة الشّعريّة للوجود وتجليّاتها الجماليّة الفنية في فلسفة نيتشه وفق الرّؤية التي سنقدّمها، بل كلّ ما وجد لم يكن إلّا مقتطفاتٍ وموضوعاتِ ربما قد لامست موضوعنا، ولكن ليس بالرّؤية التي سنضمّنها في بحثنا.

✸ ريتشارد فاغنر(Richard Wagne: 1813-1883)، مؤلّفٌ موسيقيٌّ وكاتبٌ مسرحيٌّ ألمانيٌّ، أمّا آرتور شوبنهاور(Arthur Schopenhauer: 1788-1860)، فهو فيلسوفٌ ألمانيٌّ، تميّزت فلسفته بنزعتها التّشاؤميّة.

عناصر تحقّق تجليّات الوجود عند نيتشه:

أولاً: نيتشه والفلسفة

لم ينتقد نيتشه الفلسفة بهدف إلغائها أو حتّى الابتعاد عنها كما يُقال، فالفيلسوف لا يلغِ فلسفته الّتي لطالما اعتبرها المطرقة الّتي ستوقظ كلّ فكرٍ إمبريقيٍّ حرٍّ مبدعٍ، بل كانت مشكلة نيتشه مع الفلسفة، هي رؤية الفلاسفة للوجود من زاويةٍ واحدةٍ، أيّ من زاوية تقديس العقل،"**المنطق خالٍ من صفة الحياة والحركيّة، لأنّه جافٌّ كالصّحراء و باردٌ كقطبيّ الأرض**"[3]، فقد رفض نيتشه هذه الرّؤية الأحاديّة القطب للوجود الّتي تعتبر العقل فقط من يمثّل الحقيقة الوحيدة والجوهريّة والمطلقة لتفسير هذا الوجود، ذلك لأنّ تلك النّظرة الواحديّة المنظور فيها إغفالٌ كبيرٌ لنواحٍ أخرى، فالتّقديس للعقل على هذا النّحو يعني ضمناً أو صراحةً إلغاء كلّ شيءٍ آخر، بمعنى إلغاء الحقائق والأشكال الأخرى لتأويلات وتفسيرات الوجود.

من هنا كانت صيحة نيتشه صيحة نداء ليؤكّد ضرورة التّيقّظ والانتباه على أنّ الحقيقة حمّالة أوجهٍ، حيث أنّ لها أشكالٌ عديدةٌ ومتنوّعةٌ وكلٌّ منها يكمّل الآخر، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى كان على نيتشه أن يثبت أنّ هذا العقل أو هذا الصّنم كما أسماه لا بُدّ من إزاحته والتّنبيه إلى خطر ما قدّمه من ثباتٍ مطلقٍ على الدّوام، استدعى إهمال الحواس والعاطفة والخيال، وذلك بإفساح المجال وفتح الرّؤى للإمكانات وللجوانب الأخرى، فهذا الصّنم يمثّل الخطر الأكبر في وجه الحياة وفي وجه ما تحمل من عواطف ومشاعر إنسانيّةٍ، وليس دائماً محلاً للثّقة كما يدّعي الفلاسفة،" **بهذا التّحديد السّقراطيّ تحلّ اللّعنة على الفلسفة، لعنة الجدل ...، الّذي يقتضي تجاهل الظّاهر المتغيّر والمتناقض واعتبار الحواس كوسيلةٍ لنقل هذا الظّاهر ... بل وأكثر من ذلك تمّ اعتبارها شرّيرةً ولا أخلاقيّةً، في حين تمّ اعتبار العقل محلّ ثقةٍ**"[4].

ولكن لماذا لا يثق نيتشه في هذا العقل؟ *هل السّبب بعده عن الحياة ووضعه لمسافات عوالمَ أخرى*[5] تحول بينه وبين حيويّة الوجود؟ أم ادّعائه أنّه قد عرف كلّ شيءٍ وليس هناك من حاجةٍ للبحث في أشياءَ أخرى جديدةٍ؟

لقد هاجم نيتشه العقل لأنّه اعتبر أنّ مبادئ الفكر الّتي لطالما نادى بها الفلاسفة مثل مبدأ العلّة الغائيّة ومبدأ عدم التّناقض، لم تكن إلّا حاجةً للعقل لكي يكون قادراً على التفكير المنطقيّ بمظاهر العالم، بمعنىً آخر، لقد اخترع العقل هذه المبادئ وفرضها على الوجود لتفسيره بشكلٍ منظّمٍ على أساس أنّها تمثّل قوانين الوجود[6] الوحيدة والثّابتة والمطلقة، لكنّ القوانين الفكريّة، الّتي لطالما وُسمت بأنّها ضروريّةٌ مثل قانون الذّاتيّة وقانون عدم التّناقض، لم تكن وفق رؤية نيتشه إلّا مجرد قوانين ذاتيّةٍ، مثّلت شرط التفكير لكنّها لم تمثّل شرط الوجود، وهذا ما يجب الانتباه له،لأنّ المنطق يعمل بصيغ دلالاتٍ ورموزٍ منطلقاً من مقدّماتٍ كي يصل إلى نتائج، بينما الوجود نظامه وتركيبته مختلفةٌ تماماً، فهو في كنه جوهره تغيّرٌ وصيرورةٌ وتناقضٌ وتضادٌ،" **المنطق العقليّ قائمٌ على أسسٍ وقواعد، لا يمكن أن يقبل قضيتيّن متناقضتين، وهذا ما سُميّ لاحقاً مبدأ عدم التّناقض، لكن في المنطق التّراجيديّ لا يمكن أصلاً الفصل بين ما هو خاطئٌ أو صحّيٌ**"[7]، لذلك ما نودّ قوله هو تبيان أنّ هذه القوانين قد تمّ اختراعها من قبل العقل في لحظةٍ ما، لأنّه كان عاجزاً عن تصوّر ذلك التّغير وتلك الصّيرورة كما هما، هذا من جهةٍ، ولأنّ عقلنا من جهةٍ أخرى لا يقبل بهما، أمّا

3- عنيات، عبد الكريم. *نيتشه و الإغريق- إشكالية أصل الفلسفة*، ط1، منشورات الاختلاف، لبنان، 2010، ص 180.
4 - عينات، عبد الكريم. مرجع سابق، ص 113.
5- نيتشه، فريدرش. *إنسان مفرط في إنسانيته* الجزء الأول، ترجمة: محمد الناجي، أفريقيا للنشر، المغرب، 2002، ص 17 بتصرف.
6- بدوي، عبد الرحمن. *خلاصة الفكر الأوروبي- نيتشه*، ط5، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975، ص 234
7- عنيات، عبد الكريم. *نيتشه و الإغريق- إشكالية أصل الفلسفة*، مرجع سابق، ص 109.

بالنّسبة للوجود فهذا حاله، وهذه ضرورته الّتي تقتضي ذلك[8]، وبالتّالي ما تمّ تقديمه عن مطلقيّة حقائق العقل وقدسيّتها منذ فلسفة سقراط وأفلاطون وصولاً إلى ديكارت وأناه المفكّرة ومن ثمّ كنت لم يكن إلّا تجسيداً ميتافيزيقيّاً دينيّاً لهذه المطلقيّة وعلينا مراجعته والتّأسيس لنظرةٍ جديدةٍ مختلفةٍ.

لذلك ماّ نريد أن نصل إليه هو القول بأنّ الصّيرورة تغيّرٌ وتجدّدٌ، كما أنّها ليست ثابتةً على عكس ما ذهب إليه الفلاسفة، وهذه الصّيرورة هي سمة الوجود الموسوم بالغموض وعدم الانسجام وعدم الوضوح واللّا منطقيّة، الّتي *تناقض رمزيّة العقل ومنطقه ومبادئه*[9]، من هنا فالعقل بالنسبة إلى نيتشه مجرّد وسيلةٍ للحياة فحسب[10]، وليس الحياة بجلّها، وهذا ما ينبغي أن يكون واضحاً،لأنّ إمكاناته محدودةٌ وضئيلةٌ، خاصّةً في إطار الغموض الميتافيزيقيّ، *فالعقل يعمل ضمن إمكاناتٍ وشروطٍ معيّنةٍ*[11]، متاحةٍ بقدر توافر الوسائل والأدوات المعرفيّة، وكذلك بقدر توفّر المجال لتلك المعرفة.

ولذا كان من الضّروريّ برأي نيتشه أنّ نحدّد نطاق هذا العقل وحدوده، طالما أنّنا متمايزون عن بعضنا بالعقل وبطرائق تفكيرنا وتفسيرنا وتقبّلنا للأمور، ولكلٍّ منّا رؤيته ومفهومه وتفسيره الخاصّ لهذه الحياة، أي لكلٍّ منّا تفرّده وخصوصيّته الّتي لا تشبه أحداً، ولذلك فإن صيغة الإطلاق والتّعميم الّتي نطلقها على العقل من هذا المنطلق ليست برأي نيتشه إلّا وهماً، علينا الحذر منه" **التّصوّرات العقليّة الّتي تسعى للهروب من الوهم، وهم الصّيرورة هي في ذاتها وهمٌ**"[12]، وهذا ما جعلنا نرى أنّه وتبعاً لذلك" قلّما نجد كتاباً لنيتشه لم يذكر فيه انتقاداً موجّهاً إلى سقراط وأفلاطون باعتبارهما المؤسّسين بقصدٍ أو من غير قصدٍ لمطلقيّة العقل ومثاليّته "**إنّ خطيئة الفلاسفة هي غياب الحسّ التّاريخيّ، ذلك أنّ كثيرين منهم – ودون أن ينتبهوا لذلك– يعتبرون صورة الإنسان الأخير كما شكّلتها تأثيرات بعض الدّيانات، بل بعض الأحداث السياسيّة، هي الشّكل الثّابت الّذي منه ينبغي أن يكون المنطلق**"[13]، ولكن لمَ؟ إنّ السّؤال الّذي يطرح نفسه: لماذا كرّس نيتشه جلّ انتقاداته في الفلسفة إلى سقراط وأفلاطون ومن بعدهما ديكارت وكَنت؟ هل لأنّهم برأيه قد كنّوا العداء بفلسفتهم للعالم والحياة وللحواسّ بتمجيدهم للعقل، وبمثاليّتهم الّتي قامت على الواحديّة والتّمركز، والّتي نبذت وابتعدت عن كلّ تعدّدٍ؟ أم لأنّهم تجرّدوا عن الواقع المحسوس، وكسوا العالم بنقابٍ عقليٍّ دينيٍّ؟ أم *لأنّهم صاغوا نفورهم من الحياة على شكل نظرياتٍ أو مقولاتٍ*[14]، وطلبوا من النّاس أن يعلنوا ولاءهم لها؟

حقيقةً ما نود قوله هو أنّ هجوم نيتشه وانتقاده لفلسفة سقراط ومن بعده أفلاطون لم يكن اعتباطيّاً، بل كان له اعتباراتٌ هامّةٌ لدى نيتشه، فسقراط مثل" **لحظة الفساد الكبير في تاريخ القيم**"[15]، ولكن لماذا يمثّل سقراط ومن بعده أفلاطون هذا الانحلال؟" **إنّني أجهد نفسي لمعرفة المزاج الّذي وجدت منه هذه المعادلة السّقراطيّة عقل = فضيلة= سعادة، أغرب المعادلات الممكنة، والّتي تقابلها، على الخصوص كل غرائز الإغريق القدامى**"[16]، فسقراط وأفلاطون

8- بدوي، عبد الرحمن. *خلاصة الفكر الأوروبي- نيتشه*، مرجع سابق، ص 204-205
9- عنيات، عبد الكريم. *نيتشه و الإغريق- إشكالية أصل الفلسفة*، مرجع سابق، ص 109 بتصرف.
10- بدوي، عبد الرحمن. *خلاصة الفكر الأوروبي- نيتشه*، مرجع سابق، ص 205.
11- النجار، عبد المجيد. *خلافة الإنسان بين الوحي و العقل – بحث في جدلية النص و العقل و الواقع*، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن- فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، 1981، ص18 بتصرف .
12- عنيات، عبد الكريم. *نيتشه و الإغريق- إشكالية أصل الفلسفة*، مرجع سابق، ص 84.
13- نيتشه، فريدرش. *إنسان مفرط في إنسانيته* الجزء الأول، ترجمة: محمد الناجي، مصدر سابق، ص 18.
14- شتاينر، رودولف. *نيتشه مكافحاً ضد عصره*، ترجمة: حسن صقر، ط1، دار الحصاد للنشر و التوزيع، سوريا – دمشق، ، 1998، ص 81 بتصرف.
15- نيتشه، فريدرش. *إرادة القوة – محاولة لقلب كل القيم*، ترجمة و تقديم: محمد الناجي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2011، ص 181.
16- نيتشه، فريدرش. *أفول الأصنام*، ترجمة: حسان بورقية و محمد الناجي، ط1أ، فريقيا الشرق، المغرب، ، 1996، ص 20.

قد *مثّلوا برأيه دلائل تدهور الهيلنستيّة أو كما يسمّيهم نيتشه ب "**الإغريقيّين المزيّفين**"*[17]، فأخلاقيّاتهما قد حدّدت بدوافعَ مرضيّةٍ، فقد أدركوا بفلسفتهم أنّ العقل وحده فقط من يجلب السّعادة للإنسان ولوجوده، في حين أنّ كَنت وتقسيمه للوجود إلى وجودٍ في ذاته (الباطن) وعالم للظواهرِ(الظّواهر) قد كان بمثابة علامة انحطاطٍ أخرى جديدةٍ، لأنّهما لم يمثّلا إلّا استياء الميتافيزيقيّين من الواقع[18]، فديكارت وكَنت مثّلا أيضاً أبطالاً نموذجيّين عن اللاهوتيّين المقنّعين، *والذين أقاما كهنوتاً عقليّاً بلا طقوس*[19].

إذاً من كلّ ما سبق نستطيع أن نقول: أنّ نيتشه قد شهد بصورةٍ واعية تماماً عدميّة عصره الفلسفيّة عقليّاً ودينيّاً، هذه العدميّة الّتي تمّ تكريسها عبر الدّين والأخلاق المسيحيّة كمنظومة قيمٍ، تلك المعرفة الّتي قامت على المثال الأفلاطونيّ، أو على المعرفة النّقديّة الكَانتيّة، *أوحتى على معرفة شيلينغ*[20]، فنحن نحتاج إلى معرفةٍ تكون قادرةً على إعادة الحياة، وعلى احتضان هذه الحياة ورفعها عالياً إلى الشّعوب الحديثة الّتي تمّ خداعها من قبل الكاهن الجديد وفي ثوب العَالِمِ الملحد والمحايد والنّزيه، هذه المعرفة الّتي قامت في عصر الإغريق، في عصر **قوّتهم"على الأدب لا العلم، على الحدس لا المنطق، على الإرادة لا العقل"**[21].

يوجد وفقاً لذلك ثغرةٌ في الفلسفة، وقد أتت هذه الثّغرة نتيجة المثل الأعلى الدّينيّ الّذي بسط سيطرته على الفلسفة، الّتي عملت جاهدةً على تكريس نظرة الدّين المثاليّة والمفارقة لعالم حياتنا[22] *ووضعت عنواناً للحقيقة بوصفها إلهاً*[23]، لذلك يقع على عاتق الفيلسوف مهمّة إنقاذ كلّ ما تمّ إغراقه وخنقه وإسكاته عبر أوهام الأحكام الأخلاقيّة، لصالح المنطقيّ الّذي يمثّل وسيلةً لتسهيل التّفكير ووسيلةً للتّعبير عن منظوميّة وتنظيم العالم بطريقةٍ مفهومةٍ وقريبةٍ منطقيّاً من تفكير الذّوات، وهنا لا بدّ من القول أنّ العقل والعلم حقّقا في وقتهما نتائج مرضيةٍ ساعدت وقدّمت للبشريّة الكثير، وهذا لا يمكننا إنكاره على الإطلاق، ولكن ما يعيبه نيتشه على هذا العقل والعلم تصرّفهما *لاحقاً وعلى الدّوام كحقيقةٍ*[24]، ولصالح مقولات العقل ووسائلها، ضدّ الحواس الّتي لطالما قالوا أنّها تخدعنا.

" **الحواسّ تخدعنا، والعقل يصحّح أخطاءنا وبالتّالي فالعقل، هكذا قرّروا هو السبيل إلى ما هو دائمٌ، لا شكّ أنّ الأفكار الّتي اعتمدت على الحواسّ أقلّ ما يمكن هي الأقرب إلى العالم – الحقيقة**"[25]، على اعتبار أنّ الفيلسوف يمثّل الإنسانيّة أعمق تمثيلٍ، "**فالفيلسوف ليس مجرّد مفكّرٍ كبيرٍ، بل هو أيضاً إنسانٌ حقيقيٌّ**"[26].

بعد هذا النّقد الّذي وجّهه نيتشه إلى تلك الفلسفات نتساءل: هل كلّ الفلسفات لم تنجح في أن تكون مطابقةً أو بالحد الأدنى قريبةً جداً من فنّ المأساة اليونانيّة ؟ أيّ فلسفةٍ استطاعت أن تمثّل الفلسفة الحقيقية والقريبة من الحياة الحيويّة التّراجيديّة اليونانيّة؟ يجيبنا نيتشه عن ذلك بالقول: "**إنّ المرحلة السّابقة لسقراط، تتميّز بأنّ فلسفتها قريبةٌ**

17- :نيتشه، فريدرش. *أفول الأصنام* ، مصدر سابق، ص 18 بتصرف.

18- جين، لورانس و شين، كيتي: *أقدم لك نيتشه* ، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2002 ، ص 37.

19- نيتشه، فريدرش.*في جينالوجيا الأخلاق*، ترجمة: فتحي المسكيني، ط1،منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص 10 بتصرف.

20- بودو، بيير. *نيتشه مفتتا* ، تعريب: أسامة الحاج، ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت – لبنان، ، 1996، ص 157 بتصرف.

***(فريدرش شيلينغ: Friedrich Schilling: 1775-1854هو فيلسوف ألماني دعا إلى فلسفة الطبيعة ودعا إلى تطوير المجتمع ديالكتيكياً).**

21- عنيات، عبد الكريم: *نيتشه و الإغريق- إشكالية أصل الفلسفة* ، مرجع سابق ، ص 273.

22- Arthur c.Danto. *Nietzsche als Philosoph*, Wilhelm Fink Verlag, München, 1998, S. 159f.

23- نيتشه، فريدرش. *في جينالوجيا الأخلاق*، ترجمة: فتحي المسكيني، ص 202 بتصرف.

24- نيتشه، فريدرش. *إرادة القوة – محاولة لقلب كل القيم*، مصدر سابق، ص 211 بتصرف.

25- نيتشه، فريدرش. *إرادة القوة – محاولة لقلب كل القيم*، مصدر سابق، ص 220.

26- نيتشه، فريدرش. *شوبنهاور مربياً* ، ترجمة: قحطان جاسم، ط1،منشورات الاختلاف، لبنان، 2016ً، ص 105.

جداً، إن لم تكن مطابقةً للغريزة اليونانيّة الّتي أوجدت فنّ المأساة"[27]، ولكن من يقصد نيتشه؟ إنّه يقصد هرقليطس فيلسوف التّغيّر والصّيرورة والتّجدّد!!" **أستثني اسم هرقليطس مع كلّ الاحترام الواجب له، في الوقت الّذي كانت فيه بقيّة النّسل الفلسفيّ ترفض شهادة الحواسّ لأنّها تبدي التّنوّع والتّحوّل، كان هو كذلك يرفض شهادتها**"[28]، ففلسفة هرقليطس قد مثّلت صيرورة هذه الحياة، عبر تغيّرها ونسبيّتها المستمرّة، فهو القائل مقولته الشّهيرة "الإنسان لا يستحم بمياه النهر مرّتين"، ففلسفة هرقليطس تأكيدٌ على الوجود بتجدّده وتناقضه وليست إنكاراً للأشياء كما افتعلت باقي الفلسفات، وهرقليطس نفسه انتقد الفهم الأخلاقيّ السّابق للعالم، على اعتبار أنّه عالم مظاهرٍ ووهمٍ وخداعٍ في مقابل عالم المثل والعالم الآخر المقدّس والّذي كان قائماً على فهمهم للخطايا والذّنوب، واعتبر *أنّ فهمنا الحقيقيّ للوجود ينبغي أن يتمثّل في رؤيتنا الجماليّة للكون*[29]، تلك الرّؤية الّتي تحمل في طيّاتها جوانب الحيويّة والنّسبيّة والتّغيّر والصّيرورة، وبذلك يلتقي فكر نيتشه مع فكر وفلسفة هرقليطس، الّذي أكّد التّغيّر والصّيرورة والحركة تأكيداً مطلقاً. وصحيحٌ أن نيتشه قد انتقد كلّ الأساس الفلسفيّ المعرفيّ السّابق له، باستثناء فلاسفة الإغريق السّابقين لسقراط، لأنّه مع سقراط برأيه قد وقعت الكارثة والتّحوّل، إلّا أنّه لا بدّ من قول كلمة حقٍّ في هذا، ذلك أنّ هذا الأساس الّذي انتقده نيتشه، قد شكّل له مادةً غنيّةً وخصبةً لإغناء وتعميق فلسفته، الّتي لا تزال حتّى اللّحظة موضع كشفٍ عن نقابٍ وقناعٍ، تتجلّى خلفه أعظم فلسفةٍ يمكن تقديمها للبشريّة.

ثانياً: نيتشه والعلم

كان القرن التاسع عشر الّذي عاصره نيتشه *عصر تطوّرٍ وتقدّمٍ في كلّ المجالات العلميّة والتقنيّة والفكريّة والفلسفيّة من داروين وفرويد إلى هيغل وماركس*[30] ...إلخ، وهنا لسنا بصدد العرض لهذا التّاريخ العلميّ الموسوم بهذه الفترة، لكن ما يهمّنا هنا هو موقف نيتشه من العلم، وأفكاره الّتي لا تقلّ أهميّةً عن أفكاره حول الفلسفة والأخلاق والدّين، فلماذا حارب وانتقد نيتشه العلماء بدءاً من سقراط الّذي لم يكن فقط فيلسوفاً نظّر للفلسفة والعلم، بل أُعتبر الممثّل الأوّل لإرساء دعائم التّفكير العلميّ القائم على العقل ومطلقيّته في المعرفة؟

ما يمكننا أن نستشفّه من قراءتنا لفلسفة نيتشه، حول رؤيته الفلسفيّة للعلم هو أنّه قد وجّه انتقاداته إلى العلم*[31]: *لأنّه لم يكن يمثّل سوى ديناً جديداً لعصرنا وقيمةً مطلقةً له*[32]، ليس ذلك فقط فقد ادّعى العلماء أنّهم ينهجون نهج الموضوعيةّ والحياد، لكن تبيّن حسب نقد نيتشه لهم أنّهم ووفق ما قدّموه عبر نظريّاتهم العلميّة لم يكونوا مخلصين لمبادئهم العلميّة، بمعنى أنّهم لم يمتهنوا العلم لذاته ومن أجل المعرفة بذاتها، بل من أجل مصالحهم الشّخصيّة ومصالح بلادهم، فكانت شعاراتهم البرّاقة تحت عنوان الموضوعيّة، الزّخم الكبير الّذي تغنّوا به، فإلى أيّ مدىً وإلى أيّ حدٍّ كانوا فعلاً نزيهين وموضوعيّين[33]؟

27- عنيات، عبد الكريم. *نيتشه و الإغريق- إشكالية أصل الفلسفة*، مرجع سابق ، ص 54.

28- نيتشه، فريدرش. *أفول الأصنام*، ترجمة: حسان بورقية و محمد الناجي، مصدر سابق، ص 26.

29- عنيات، عبد الكريم. *نيتشه و الإغريق- إشكالية أصل الفلسفة*، مرجع سابق، ص 71 إلى 74 بتصرف.

30- جين، لورانس ;شين، كيتي. *أقدم لك نيتشه*، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام،ا مرجع سابق، ص 7 بتصرف.

***هنا لا بدّ من القول بأنّ نيتشه قد وجه نقده للعلم في المرحلة الأولى من حياته، لكنه أيده في الفترة الثّانية من حياته حيث وجد فيه شكلاً من أشكال المعرفة بالوجود، خصوصاً بعد النجاح الّذي حقّقه في إنجاز عددٍ واسعٍ من أهدافه المعلنة، وذلك من خلال عمل مصالحةٍ بين العلم والفلسفة والفنّ وتقديم رؤيةٍ جديدةٍ لتفسير الحياة تعترف بتوازن القوى الإنسانيّة،حيث الحواس في مقابل العقل، بدل الطّرق التّقليديّة الّتي تؤكد معادلة العقل وتقزّم وتقوّض القوى والأدوار الأخرى، فمن قال أنّ الحياة لا تفسر إلا بالعقل والمنطق؟؟**

31- جين، لورانس و شين، كيتي. *أقدم لك نيتشه*، مرجع سابق، ص 62 بتصرف.

32- نيتشه، فريدرش. *العلم الجذل*، ترجمة: سعاد حرب، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع،2001، من ص 48 إلى ص50 بتصرف.

يتساءل نيتشه: هل العلم فقط هو مجرّد عقلٍ ونظرةٍ عقليّةٍ متجرّدةٍ للحياة؟ هل العلم هو مجرّد إقحامٍ لأفكارنا ومصالحنا ووجهات نظرنا وعقائدنا من أجل البلوغ إلى غاياتٍ معيّنةٍ؟ أيّ علمٍ هذا الّذي يشكّك في كلّ شيءٍ إلّا العقل، أوليس العقل موضوعاً للشكّ أيضاً؟" **سبب الاعتقاد بإمكانيّة فهم العالم بالتّفكير والجدل والبرهنة وهذا ما يولّد الشّعور بالتّفاؤل والسّعادة النّاجمين عن الاطمئنان المعرفيّ، فالعقل يوهم صاحبه أنّه بالتّفكير السّليم يمكن القبض بصورةٍ كليّةٍ وقويّةٍ على أسرار الوجود**"[34]، أيّ علمٍ هذا الّذي نادى به سقراط ومن بعده أفلاطون وصولاً إلى ديكارت و هيغل و كَنت; الّذي يفترض دائماً أنّ ما هو عقليٌّ هو واقعيٌّ فقط وأنّ ما هو واقعيٌّ هو عقليٌّ؟ أيّ علمٍ ذاك الّذي يعطي القداسة للعقل ويقحمه في كلّ شيءٍ باعتباره المصدر الوحيد للحقيقة ولليقين، ويشكك في حواسّنا وفي باقي القوى الإنسانية بحجّة أنّها توقعنا في الخطأ؟" **إنّ الدرجة العاليّة من الثّقافة الّتي تسيطر عليها المعرفة، إن لم تكن تستبدّ بها تحتاج للعودة إلى بساطةٍ كبيرةٍ في الإحساس... وقد سبقنا الإغريق في هذا** "[35]، أيّ علمٍ ذاك الّذي يشطرنا إلى قسمين عقلٌ وحواسٌ؟ ومن ثمّ يقوم بالتّشكيك في حواسّنا، وبعد ذلك يقسم عالمنا إلى عالمين ويعتبر أنّ ما نحيا به هو عالمٌ حسيٌّ خادعٌ وعبارةٌ عن مظاهر وهميّةٍ وما نأمل ونسعى نحوه هو العالم المفارق الآخر، الّذي مثّل على الدّوام المنجى والمأوى لنا.

نعم، لقد بدأت مأساة الحياة مع سقراط، لأنّ سقراط هو أول من أنهى قواها وضرورتها وقسوتها، عندما أعلن إرساء دعائم الإيمان بالتّفكير العقليّ من أجل إقصاء الحياة والسّيطرة عليها وعلى غرائزنا وإرادتنا[36].

لقد مثّل سقراط لحظة الحسم، لحظة انتصار أبولو العقل*[37] والنّظام على الدّيونيزيسيّة الّتي مثّلها هرقليطس والسّابقين على سقراط[38].

إذاً لقد أفرطنا في العقل وقداسته وكذلك في الجنوح بالعلم من منظور العقل فقط وقزّمنا من دور الإحساس والوجدان وإنسانيّة الإنسان، إلى حدٍّ أوصلنا به العقل ليس فقط إلى كوارث الحروب العالميّة وما تبعها من نتائج سلبيّةٍ ضد إنسانيّة الإنسان، الّتي عانت ولا تزال تعاني من جرّائها، وإنّما أيضاً أدّى إلى ما أدّى إليه من البؤس والاغتراب والقلق حيال المصير الإنسانيّ، لذا كان لا بدّ من لحظةٍ نعي فيها ضرورة إعادة العقل إلى مكانه الصّحيح، وإلى قيمته وحدوده الطّبيعيّة، لأنّنا قد رفعنا العلم والعقل فوق الحياة وفوق إنسانيّة الإنسان، وجعلنا هدفهما تحقيق مصالحنا ورفاهيّتنا قدر الإمكان فقط، ونسينا أو تناسينا البعد الإنسانيّ العميق الّذي يجب أن يكون حاضراً في كلّ خطوةٍ نخطوها نحو تقدّم الإنسان، وهذا ما جعل نيتشه يربط بين العلم والدين من حيث أنّ كلاهما يسعى لتخفيف الألم عن الإنسان." **هدف العلم المعاصر هو تخفيف الألم أشدّ ما يمكن و إطالة العمر أكثر ما يمكن وهو يعني نوعاً من الهناء الخالد، المتواضع جداً مقارنةً مع وعود الدّين**"[39].

من هنا كان لا بدّ برأي نيتشه من الشّكّ في هذا الطّرح العلميّ لأنّه لم يشكّك في العلم والعقل بذاتهما، ولأنّهما تقنّعا كثيراً وراء وجه الموضوعيّة وتحقيق المنفعة واللّذة، وهذا بالضّبط ما تنبّه له هايدجر* عبر تأويله النّقديّ، الّذي

33- عنيات، عبد الكريم. *نيتشه و الإغريق*- إشكالية أصل الفلسفة، مرجع سابق، ص 110.

34- نيتشه، فريدرش. *إنسان مفرط في إنسانيته* الجزء الأول، ترجمة: محمد الناجي، مصدر سابق ، ص 111.

35- نيتشه، فريدرش. *مولد التراجيديا*، ترجمة: شاهر حسن عبيد، ط1، دار الحوار للنشر و التوزيع، سوريا، اللاذقية، ، 2008، ص 31.

***لا بد هنا في هذا المقام من توضيح فكرة هامة وهي أن العقل بالمفهوم المنهجي هو غيره بالمفهوم الوضعي كما وضحه أوغست كونت وإميل دوركهايم، حيث مثّل العقل الوضعي رداً عنيفا في وجه الفكر المجرد الذي يقف موقف العداء من الواقع المحسوس. أما العقل المنهجي فهو أسلوب للتفكير النقدي الناجع الذي ينطلق من الفرضيات ويبرهنها لكي يصل إلى النتائج المتوخاة.**

36- النمر، محمد نور. *نيتشه و تقويض الميتافيزيقا في الفلسفة المعاصرة*، مجلة نقد و تنوير، العدد الرابع، الفصل الأول، السنة الثانية، مارس- آذار، 2016، ص 283.

37- نيتشه، فريدرش. *إنسان مفرط في إنسانيته* الجزء الأول ، مصدر سابق، ص 83.

شكّك في النّموذج الموضوعيّ للتّفكير العلميّ، وما يرتبط بهذا المنهج من هدفٍ ومنهجٍ معرفيّ[40]، يقول نيتشه في ذلك:" **ماالّذي يقال؟ إنّ أسمى غايةٍ للعلم هي أن يجلب للإنسان أكبر قدرٍ ممكن من اللّذة ويجنّبه أقلّ قدرٍ من الكدر، ولكن كيف سيتمكّن العلم من ذلك، لطالما كانت اللّذة والكدر يشكّلان عقدةً واحدةً**"[41]، وقد ابتعد العلم عن مهمّته الأساسيّة والنّبيلة في أن يكون علماً للمعرفةّ، بادعائه أنّه لا يتمسّك إلّا بالحقيقة وبأنّه قد أوجد تدبيراً كاملاً لكلّ أسرار الوجود، ولم يبق ما يجهد نفسه في التّفكير به."....**إلى أيّ نهايةٍ سيصل هذا العلم الحديث، إذا كان يدّعي بأنّه يحتوي تدبيراً كاملاً لأشكال العالم؟**"[42]، لذلك على العلم برأي نيتشه أن يفلت من قبضة الدّين والميتافيزيقا والأحكام المسبقة[43]، لكي يكون علماً حقيقياً لا يستند على مطلق ولا يكون عبارةً عن تجميعٍ للأحكام المسبقة، وهذا العلم وبهذه الشّروط لا يتحقّق إلّا بالعودة إلى الفيلولوجيا الّتي هي برأي نيتشه المهمّة الأصيلة التي تقع ليس على عاتق الفلسفة فقط، بل أيضاً على العلم الّذي عليه النّهوض والقيام بها.

فهذا العلم، الّذي نشهده ورغم ما حقّقه من إنجازاتٍ، وكما تمّ تقديمه لنا، لم يكن إلّا تعبيراً فقط عن تأكيد اليقين عبر العقل وأنّ العقل هو ما يطابق الواقع، فهو لم يحقّق حتّى اللّحظة برأي نيتشه الغاية الأصيلة المرجوّة منه كما الفلسفة، لأنّهما مثّلا العقل باعتباره المصدر الوحيد للمعرفة والقيم، كما رسّخته القيم الدّينيّة كجزءٍ من القيم الميتافيزيقيّة، وكذلك مثّلا التّكبّر والتّعجرف وادّعاء الموضوعيّة، *متناسين أنّ السّحرة والمنجّمين والكيميائيّين قد قدّموا الكثير من تنبّؤاتهم حتّى تمكّن علماء اليوم من معرفتهم القليلة*[44]، لذلك لا بدّ من أن نشكّ، وأن ننتقد، ومن أن نتعلم كيف نفكّر بطرقٍ مختلفةٍ عن بعضنا، كي لا نكون مقلّدين في كلّ شيءٍ، علينا أن نكون واعين تمام الوعي للمخاطر العميقة الّتي تسود علاقاتنا الّتي تربطنا بالعلم والفلسفة وكذلك بالأخلاق، وعلينا أن نقف ضدّ ما هو مريضٌ داخل أنفسنا، وهذا هو العلم المرح الّذي أطلقه نيتشه على واحدٍ من أهمّ مؤلّفاته الفلسفيّة، *ضدّ العلم الّذي أمسى إشكاليّةً وموضع شبهةٍ*[45].

إذاً علينا إعادة قلب تلك القيم وتلك الأصنام الفكريّة كما يحلو لنيتشه أن يسمّيها، لأنّها لم تكن عبر تاريخ الفكر الإنسانيّ إلّا علامات انحطاطٍ وتدهورٍ، حتّى نتمكّن من إعادة الأصالة والجدّة إليهما معاً، ولكن كيف؟ بأن نعطي كل ذي حقٍّ حقّه، ونعيد الأمور إلى نصابها وحدودها، فالعلم علمٌ والفلسفة فلسفةٌ، وتجاوز الحدود في كلتا الحالتين غير مشروعٍ، فلا غنىً للفلسفة عن العلم وتطوّره، وهذا ما اتّضح عبر السّعي الحثيث نحو المطالبة بفلسفة العلم وكذلك لا بدّ من التّوجيه الإنسانيّ الأخلاقيّ والمنهجيّ لسفينة العلم، فالفلسفة سؤالٌ وشكٌّ "**فإنّه لأمرٌ جديدٌ في التّاريخ، أنّ المعرفة تريد أن تكون أكثر من مجرّد وسيلةٍ**"[46]، حتّى يتسنّى للباحث أن يكون إنساناً حقيقيّاً[47]، ولكن كيف سيتحقّق هذا؟ وما الّذي سيقدّمه نيتشه من أجل النهوض بالعلم والفلسفة، واستكمال النّقص الّذي يغلّفهما؟ إنّه كما سنرى تباعاً *الفنّ*.

✵ مارتن هايدجر(Martin Heideger 1889-1976)، فيلسوفٌ ألمانيٌ، تميز بأسلوبه وطريقته في اللّغة الّتي يكتب بها، حيث وصفت هذه الطريقة بأنّها تجعل من يقرأ فلسفته يعاني من عدم فهمها نتيجة للصعوبة في فهم اللّغة الاشتقاقيّة التي يكتب فيها، حتّى من قبل الألمان أنفسهم. في رؤيتة الأنطولوجية ركز على البحث عن سؤال الوجود، هذا السؤال الذي بقي من وجهة نظره في طي النسيان منذ الفلسفة اليونانية وصولاً إلى نيتشه، وطبعاً في نعت نيتشه في هذا الوصف بأنه آخر فيلسوف ميتافيزيقي، إجحاف بحق فلسفة نيتشه الذي قوض الميتافيزيقا المتعالية عن الحياة، بما قدمه من نقد جذري لكل تجليات العدمية في عصره وعلى كافة الأصعدة. ألبرت، هانس. هايدجر والتحول التأويلي، ترجمة عد السلام حيدر، دراسة منشورة على الانترنت في قسم الفلسفة و العلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود للدراسات والنشر، الرباط، المغرب، 2016، ص 3 بتصرف. www.mominoun.com

38- يتشه، فريدرش. *العلم الجذل*، ترجمة: سعاد حرب، مصدر سابق، ص 42.

39- شتاينر، رودولف. *نيتشه مكافحاً ضد عصره*، ترجمة: حسن صقر، مصدر سابق، ص 87.

40- نيتشه، فريدرش. *العلم الجذل*، ترجمة: سعاد حرب، مصدر سابق، ص 235 بتصرف.

41- نيتشه، فريدرش. *العلم الجذل*، ترجمة: سعاد حرب، مصدر سابق، ص 165.

42- فنك، أويغن.*فلسفة نيتشه*، ترجمة: الياس بدوي، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1974، ص 18.

43- نيتشه، فريدرش.*العلم الجذل*، ترجمة: سعاد حرب، مصدر سابق، ص 117.

44- نيتشه، فريدرش. *شوبنهاور مربياً*، ترجمة: قحطان جاسم، مصدر سابق، ص 105 بتصرف.

ثالثاً: نيتشه والفنّ

إنّه الفنّ الّذي سيعيد ردم هذه الهوّة الّتي امتدّت لزمنٍ طويلٍ بيننا وبين عالمنا، ولكن عن أيّ نوعٍ من الفنّ يتحدّث نيتشه؟ إنّه الفنّ التّراجيديّ، الّذي يعيد للحياة رونقها وضرورة وجودها، إنّه الفنّ الّذي يحاكي صيرورتها وقسوتها، إنّه الفنّ الّذي يستنطق صيرورة الوجود في صيرورته وتناقضاته الأبولونيّة والدّيونيزيسيّة*[48]، من أجل تأكيد مزيدٍ من النّظر الأصيل لإدراك معنى الحياة والوجود الحقيقيّ، ولكنّ السّؤال الّذي يطرح نفسه: لماذا نعت نيتشه العصر الأوّل للفلسفة اليونانيّة بالعصر المأساويّ؟ هل حقّاً لأنّ هذه الفترة بالمعنى الحرفيّ لها، لا تمثّل إلّا الحزن والآلام والمآسي؟ إنّ الإجابة على هذا السّؤال ستقودنا إلى البحث في التّراجيديا اليونانيّة!! فماذا تعني التّراجيديا؟ وما هي أصولها؟

إنّ التّراجيديا أصلها مشتقٌّ من كلمتين تراخوس(وتعني العنزة) وأوديا(وتعني الأغنية)، فيصبح معنى التّراجيديا الأغنية العنزيّة، ولكن ما العلاقة الّتي تربط بين الأغنية العنزيّة والتّراجيديا؟

تتجسّد العلاقة الّتي تربط بينهما بوضوحٍ في كون أفراد الجوقة الّتي كانت تنشد المسرحيّات التّراجيديةّ حينذاك كانت ترتدي ثياباً مصنوعةً من جلد الماعز، وبذلك فالتّراجيدي هو ما يتّخذ من الأبطال وأنصاف الآلهة موضوعاً لمسرحيّاته[49]، ولهذه التّراجيديا التي قامت على أكتاف قطبين أساسيّين هما: اسخيلوس وسوفوكليس قصّةٌ طويلةٌ مع نيتشه وخصوصاً مع أولئك الّذين انهارت على أيديهم تلك التّراجيديا اليونانيّة وهم: سقراط ويوروبيدس "**هناك تواطؤٌ تامٌّ واتّفاقٌ كاملٌ بين سقراط الفيلسوف ويوروبيدس الشّاعر والكاتب المسرحيّ**"[50]، بسبب استبدالهم لكل السّمات والخصائص الدّيونيزيسيّة بسماتٍ عقليّةٍ وجدليّةٍ فقط، فأحداث هذه التّراجيديا تمثّل وتعكس بعمقٍ كبيرٍ ذاك الصّراع المرير والمواجهة الضّارية ما بين طرفي الكمّاشة: ديونيزوس(Dionysian) الّذي يمثّل: إله الخمر واللّاواقع واللامعقول والموسيقى، والرّقص، وشرب الخمر حتى الثّمالة، وكذلك الزّخم، والانطلاق، والفوضى، اللّذة والألم، والغريزة والجسد، وذوبان الإنسان في عالمه، في مقابل أبّولو[51])ِApollonian)، الطّرف الثّاني للكمّاشة، والذي يمثّل أشدّ تمثيلٍ: إله الشّمس والواقع، المعقول، والمنطقيّ، التّغلّب على الشّهوات، النّظام، الجمال، وكذلك الاعتدال في كلّ شيءٍ وإقامة الجدالات والحوارات المنطقيّة، *وهو ضدّ الحياة لأنّه يخلق عوالم تكون وهميّةً للإنسان*[52].

وبعد أن تمّ القضاء على هذه التّراجيديا من قبل أعدائها لأنّها تقوم على أساس الغرائز والتّناقض والتّضاد، ولا تحتكم إلى العقل والمنطق، لم تعد هذه المسرحيّات التّراجيديّة تقدم إلّا مسرحيات الجدل والمنطق البعيد كلّ البعد عن حيويّة وحياة الوجود وعن الحكمة المأساويّة، فما المسرحيّة التّراجيدية الأصيلة إلّا ذلك العرض الكبير والمادّة الضّخمة والخصبة لتلك الأساطير الّتي توضّح في طيّاتها صراع الموت بين هاتين القوّتين: قوة أبولو وقوة ديونيزوس، تلك الأساطير الّتي تفيض بغزارة الشّعر والغناء وبأصالة الموسيقى والرّقص والتمثيل، وهذا ما سنوضّحه الآن عبر عناصر الفنّ التّراجيديّ.

***ديونيزوس هو شخصيّةٌ أسطوريّةٌ يونانيّةٌ في الفترة ما قبل السّقراطيّة، كان يمثّل الغرائز والإحساسات والمشاعر الخصبة رقصاً وغناءً، إضافةً إلى جماليّة الفوضى واللّاترتيب الّتي كان يمتلكها. الوجه الآخر المقابل له هو أبولو الّذي يمثّل العقل والنّظام والتّرتيب، ولا مكان فيه للحواسّ والغناء والرّقص والمشاعر لأنّها لا تحتكم إلى العقل والمنطق.**

45- عنيات، عبد الكريم. *نيتشه و الإغريق- إشكاليّة أصل الفلسفة*، مرجع سابق، ص 56، 57 بتصرف.

46- عينات، عبد الكريم. *إشكاليّة أصل الفلسفة*، مرجع سابق، ص 105.

47- Nietzsche Friedrich: *Die Gebürt der Tragödie aus dem Geiste der Musik*, Frankfurt/Main, u.a. 1987,Insel Verlag, Erste Auflage, Nr. 2, S. 33.

48- عينات، عبد الكريم. *نيتشه والإغريق إشكاليّة أصل الفلسفة*، مرجع سابق، ص 59 بتصرف.

عناصر الفنّ التّراجيديّ:

تتجلّى أهميّة الفنّ التّراجيديّ في كونه يبرّر مأساة ورعب الوجود من خلال تجليّات الفنّ، بينما الأخلاق والدّين والفلسفة تُعقلن هذا الرّعب وتفقده حيويّته وحياته، لذلك "**فمثلما تحتاج الطّبيعة الفيلسوف، فإنّها تحتاج الفنّان أيضاً لإنجاز هدفٍ ميتافيزيقيٍّ**"[53]، وهذا ما ينبغي التّأكيد عليه بدايةً، فالفنّ عند نيتشه هو النّشاط الميتافيزيقيّ للحياة، وهو المفتاح الّذي يفتح السّبيل إلى الفهم الحقيقي للوجود[54]، لأنّ الفنّ التّراجيديّ هو الشّكل الأعلى للفنّ، باعتباره وسيلةً للخلاص من شرور الحياة، ووسيلةً لكشف الطّبيعة والتّعبير عنها بوضوحٍ، وبهذا المعنى فالفنّ يحقّق إضافةً للبعد الجماليّ الّذي يؤلّف بين الاختلاف والتّناقض والتّضاد في انسجامٍ هارمونيٍّ هدفاً ميتافيزيقيّاً[55]، بعيداً عن النّفي والتّبريرات المنطقيّة والدّينيّة التّجريديّة والرّمزيّة...إلخ، لأنّه لن يرينا مرّةً ثانيةً الضّعف والعجز في فهمنا للحياة، بل سيكون مزيداً من اكتشاف طبيعة الحياة الخلّاقة الحاملة للتوتّر وللتّناقض على أسسٍ مأساويّةٍ، فهذا الفنّ سيجعل حياتنا ليست هروباً من الوجود كما جسّد ذلك الدّين قبلاً والفلسفة بعداً، بل سيكون تحويلاً لآلام الوجود إلى مظاهر فنيّةٍ نكون قادرين على التّعايش معها، *إنّه تأويلٌ إيطيقيٌّ* استيطيقيٌّ*– أخلاقيٌّ جماليٌّ معرفيٌّ[56] للوجود مقابل التّأويل العقليّ.

ولكن مالعلاقة الّتي تجمع بين التّراجيديا والموسيقى؟

بعد أن تعرّفنا على أهميّة وخصوصية الفنّ التّراجيديّ، الّذي يمثّل أوّل عنصرٍ من عناصر التّراجيديا، كان لا بد من توضيح الدّور الّذي تقدّمه الموسيقى في ظلّ ذلك الفنّ التّراجيديّ.

لقد لعبت الموسيقى دوراً كبيراً في التّاريخ الرّوحي للشّعب الألماني، خاصّةً وأنّ ألمانيا قد عانت ما عانته من الاغتراب و البؤس الاجتماعيّ، الّذي جيّش لدى الفنّانين العظام لديهم من أمثال: بيتهوفن وفاغنر وغوته وشيللر وموتسارت..إلخ السعي الحثيث إلى الانعتاق من أسر القيود الاجتماعيّة الّتي كبّلت حياة الإنسان وأعاقت حيويّة حياته[57]، وعلى اعتبار أنّ الموسيقى تخاطب المشاعر والعذوبة ونقاء الأحاسيس الإنسانيّة المرهفة، فإنّها غالباً ما ارتبطت بجسد الإنسان، بديونيزوس، الّذي يعبر عن إرادة الإنسان المتقبّل لموته بنظرةٍ تفاؤليّةٍ كما يتقبّل حياته بإرادته القويّة، هذه الإرادة الّتي تختلف عن إرادة الحياة كما رآها شوبنهاور.

هذه الموسيقى الّتي عبّرت أجمل تعبيرٍ عن الاحتفال التّراجيديّ الرّاقص. هذا الاحتفال الّذي يظهر اندفاع ديونيزوس الّذي يضعنا وجهاً لوجه أمام قسوة المُرعب واللّامعقول.

ولكن ما علاقة الموسيقى بالوجود؟ يجيبنا نيتشه بالقول: "**لقد وضعت ظاهرة الفنّ في المركز، وفيها وانطلاقاً منها يتمّ الكشف عن حقيقة العالم**"[58]. يمكننا القول: إنّ العلاقة الّتي تجمع بين الموسيقى والوجود ليس من السّهل بمكان الإجابة عليها والإحاطة بها، فقد كانت ولا تزال تشكّل سؤالاً فلسفيّاً إشكاليّاً،لأنّ هذه العلاقة بينهما لا يمكن إثباتها أو برهنتها[59]، كما نثبت أو نبرهن أيّ نظريّةٍ أو مبرهنةٍ رياضيّةٍ، فالموسيقى لغةٌ عالميّةٌ تتجاوز كلّ الحدود بأبعادها المختلفة الزّمانية والمكانية، بمعنى أنّ"**إدراكها و تذوّقها يتمّ في الزمان بمنأى تماماً عن المكان...، وهكذا فإنّنا نشعر**

49- نيتشه، فريدرش. *شوبنهاور مربياً*، ترجمة: قحطان جاسم، مصدر سابق، ص 72.
50- فنك، أويغن.*فلسفة نيتشه*، ترجمة: الياس بدوي، مرجع سابق، ص 20.
51- بدوي، عبد الرحمن. *خلاصة الفكر الأوروبي- نيتشه*، مرجع سابق، ص 296.
52- فنك، أويغن. *فلسفة نيتشه*، ترجمة: الياس بدوي، مرجع سابق، ص 19، 20 بتصرف.
53- فيبر، ماكس.*الأسس العقلانية و السوسيولوجية للموسيقى*، ترجمة: حسن صقر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2013، ص 8,9,10 بتصرف.
54- فنك، أويغن. *فلسفة نيتشه*، ترجمة: الياس بدوي، مرجع سابق ، ص 15.
55- توفيق، سعيد محمد. *ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور*، ط1، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، ، 1983، ص 240 بتصرف.

بتأثير الموسيقى دون حاجةٍ إلى الرّجوع إلى تحلّل هذا الأثر"[60]. لذلك فعلى اعتبار أنّ الموسيقى تقوم على الجمع بين الحسّيّ والمجرّد، وعلى اعتبار أنّ ما يجمع بين العناصر الفنيّة هو نزوعنا الحسّيّ ومشاعرنا الغير خاضعة لرقابة العقل وحدود المنطق[61]، وليس ذلك فقط، فعلى اعتبار أنّ الموسيقى أيضاً تظهر جوهر الحياة، وجوهر أحداثها عبر الاستجابة الحركيّة الّتي تترافق من خلالها مع الرّقص، الّذي يمثّله ديونيزوس حتّى النّمالة، *والذي يعيد إحساسنا العميق بالحركة والحياة*[62].

من هنا فقد جسّدت الموسيقى بارتباطها بالمأساة اليونانيّة أفضل تجسيدٍ للرّوح الدّيونيزيسيّة الحرّة، الّتي لا تستقي دوافع فعلها إلّا من ذاتها دون أن تصغي أو تنصت إلى أيّ مؤثّراتٍ خارجيّةٍ" **الموسيقى تستطيع أن تهب الميلاد للأسطورة: وقبل كلّ شيءٍ للأسطورة المأساويّة الّتي هي مثلٌ أخلاقيٌّ للمعرفة الدّيونيزيسيّة**"[63]، لذلك فقد عرف نيتشه الموسيقى باعتباره ليس فقط فيلسوفاً، بل شاعراً وموسيقيّاً بقوله:" **إنّ الّذي يعيش على إيقاع الموسيقى الرّاقية يدرك، في ذاته أولّاً ومن ثمّ في الآخرين، إلى أيّ درجةٍ هو في العادة عاجزٌ عن أن يضع مقابل هذه الحياة الدّاخلية.... مظهراً يصدر عن تلك الحياة**"[64]، ولكن أين موقع الشّعر من ذلك؟

إنّ الشّعر ضرورةٌ من ضرورات الفنّ[65]، وقد ارتبط على الدّوام بالموسيقى، وكان الشّاعر والموسيقار في اليونان شخصاً واحداً، فهؤلاء الشّعراء هم"**الرّسل الّذين يعيشون على الأرض وينقلون الرّغبات الإلهيّة إلى الإنسان**"[66]، فللشعر أهميّةٌ كبيرةٌ عند نيتشه إذ يقول:" **إنّ مناقشتنا كلّها تنصبّ على تأكيد أنّ الشّعر يعتمد على روح الموسيقى، مثلما أنّ الموسيقى في سيادتها المطلقة لا تحتاج إلى الصّورة والمفهوم، وإنّما تقبلهما فقط بوصفهما عنصرين مصاحبين لها**"[67]، فالشّعر هو الخلق المستمرّ والترجمة العميقة لإحساساتنا، لأنّه يمثّل الغوص المستمرّ في أعماقنا الإنسانيّة، حيث الرّاحة والهدوء والتّمتّع بالحياة وحكمها.

لذلك برأينا مثّل الشّعر الطريقة الجديدة الّتي رآها نيتشه لتأمّل الوجود وتصوّره، تصوّر رعبه وقسوته وما افتقدناه في حياتنا، بدلاً من التفكير الدّائم فيه، فهذا التّأمّل الجديد وهذه الرؤيّة الجماليّة للوجود ستحرّرنا من ثقل الأصنام وممّا أضعناه من حياتنا منذ سقراط، وعلى اعتبار أنّ الشّعر هو الحاضنة الّتي ترتاح فيها الأسئلة الفلسفيّة الكبرى، الّتي تتناول حياتنا وموتنا ووجودنا...إلخ، فلذلك سيكون هذا الشّعر برأي نيتشه هو القادر على إخراجنا من عالمنا المضطّرب ومن مصدر قلقنا، والدّليل على ذلك هو أنّ نيتشه في كتابه (هكذا تكلم زرادشت– كتابٌ للجميع ولغير أحد)، قد رسّخ هذه الصّورة الرّمزيّة والشّعريّة بما يحتويه هذا الكتاب الفلسفيّ العميق الفحوى من حكمٍ واستعاراتٍ بصورٍ جماليّةٍ منمّقةٍ في غاية الرّوعة والجمال والإتقان بقوله:

56- توفيق، سعيد محمد. *ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور*، مرجع سابق، ص 245.

***الإيطيقا هي بحثٌ في المفاهيم الأخلاقيّة، في حين أن الإستيطيقا تعتبر واحدة من المدارس التّي تهتّم بفلسفة الطّبيعة والتّحليل النّقديّ للفنّ، غير أنّه لا بدّ من القول أن هناك فرقٌ بين الحكم الجماليّ والحكم الفنيّ، فالحكم الجمالي قد يكون على أشياء ليست بالضّرورة أن تمت للفن بصلة، في حين أن الحكم الفنيّ هو حكمٌ في صميم الفنّ، لذلك الإستيطيقا هي أشمل وأوسع من فلسفة الفنّ.للأستزادة hekmah.org/8162-2/.**

57- عنيات، عبد الكريم. *نيتشه و الإغريق- إشكالية أصل الفلسفة*، مرجع سابق، ص 58.

58- ساكس، أوليفر. *نزعة إلى الموسيقى*، ترجمة: رفيف كامل غدار، ط1،الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2010، ص 429 بتصرف.

59- جين، لورانس. شين، كيتي. *أقدم لك نيتشه*، ترجمة: إمام عبد الفتاح مرجع سابق ، ص 20.

60- نيتشه، فريدرش. ديوان نيتشه، ترجمة محمد بن صالح، ط2،منشورات الجمل، بيروت، 2009، ص 18.

61- فيشر، إرنست. *ضرورة الفن*، ترجمة: أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 1998، ص 13.

62- بورتنوي، جوليوس. *الفيلسوف وفن الموسيقى*، ترجمة: فؤاد زكريا، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة ولنشر، الإسكندرية، 2004، ص 20.

63- بورتنوي، جوليوس. *الفيلسوف و فن الموسيقى*،ترجمة: فؤاد زكريا، مرجع سابق، ص 233.

"وما كنت لأحتمل أن أكون إنساناً لو أنّ الإنسان لم يكن شاعراً محلّلاً للأسرار، ومفتدياً لإخوانه من ظلم ما تسمّونه صدفةً و دهراً"[68] .

وممّا يجب ذكره في هذا البحث، على اعتبار أنّ الشّيء بالشّيء يذكر: هو أنّ نيتشه، أو كما سمى نفسه بزارا الشاعر قد انتقد الشّعراء وانتقد نفسه كشاعرٍ في هذا المجال، وهذا ليس غريباً عن جينالوجيّة نيتشه ومطرقته النّقديّة، لأنّهم برأيه لم يكونوا نقيّين بما فيه الكفاية ولم يغوصوا في أعماق نفوسهم، بل عملوا وجهدوا على التّعالي والتّعالي إلى درجة الغرور،**"نحن الشّعراء نكذب كثيراً، ولا بدّ لنا من الكذب ما دام ما نجده من العلم قليلاً...فقد أتعبني الشّعراء...لم يبلغ الشّعراء درجة النّقاء فهم يعكّرون جداولهم ليخدعوا الناس ويوهموهم أنّها بعيدة الغور...والحقّ أن فكرهم لطاووسٌ مغرورٌ بل هو بحرٌ من الغرور "**[69]، لذلك كان لا بدّ من تصحيح هذا الشّعر من براثن ما لحق به من أذىً، لكي يعود كما كان نقياً صافياً تراجيديّاً أصيلاً، مجسّداً لصراع الأقدار والآلهة، ولصراع الموت والحياة، وكذلك لصراع العقل والقلب...إلخ، فهذا الشّعر الأصيل الّذي يحرّك خيالنا فتتدفّق عبره ألفاظنا ودلالات تصوّراتنا، *باعتبارها تمثّل التّصوّر الموضوعيّ لإرادتنا*[70]، قد شكّل في التّراجيديا اليونانيّة المأساويّة جزءاً من حياتنا وحملنا على تأكيد حيويّة هذه الحياة، ولذلك علينا العودة له، العودة لحياتنا، الّتي لا تنقطع على الدّوام وبعودٍ أبديٍّ، وها هو نيتشه يقول في قصيدةٍ له كتبها من دون وضع عنوانٍ لها معبّراً عن ذلك:

"مرآةٌ هي الحياة

ذواتنا فيها نرى

لذلك ندعوها بالرّغبة الأولى

عن التّطلّع إليها لا ننقطع"[71]

لذلك فالفنّ كان وسيبقى بحسب رؤيتنا لفلسفة نيتشه الفنيّة الوجوديّة الجماليّة أقوى من المعرفة، لأنّ الفلسفة والعلم والدّين والأخلاق عبر تأمّلاتها لم تستطع أن تحقّق الغاية المرجوّة منها عن الأرض والجسد والحياة، بل أخذتنا دوماً إلى عوالم ما ورائيّةٍ بعيدةٍ كلّ البعد عن حياتنا وعن أرضنا، فكان لزاماً علينا وبرأي نيتشه أن نتنفّس الصّعداء مع الفنّ والشّعر الأصيل الحامل لكلّ مضامينه في صيرورته، والّتي عبّر نيتشه فيها ومن خلالها وبشعره الخاصّ الّذي تميّز بإيقاعاته الموسيقيّة المفرحة والمؤلمة، اللّاذعة والمحزنة عن كلّ آلامه ومعاناته وعن قسوة ما شهده على صعيد ليس فقط حياته الشّخصيّة بل أيضاً على صعيد فلسفته وما تعرّضت له من اضطّهادٍ وإنكارٍ.

الخاتمة:

عرضنا في هذا البحث صوراً من فلسفة نيتشه، الّتي مثلت رؤيته النّقديّة لكلٍّ من الفلسفة والعلم وتعويله على أهميّة الفنّ في صورة الموسيقى والشّعر كتأكيد منه على أهميتهما في تجلّي حضور الوجود وصيرورته وجماليّته الشّعرية الفنيّة.

وقد بيّنا في هذا البحث أنّ فلسفته لم تكن فلسفةً ضدّ الإنسانيّة كما تمّ التّرويج لها عبر الأحكام السّطحيّة المسبقة لفلسفته، بل عكست في عمقها فلسفةً إنسانيّةً، فلسفةً للحياة تعشق الأرض والصّيرورة والبراءة والطّفولة، وترى أنّ قسوة

64- نيتشه، فريدرش. *هكذا تكلم زرادشت*، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية، 1938، شذرة الفداء، ص 167.
65- نيتشه، فريدرش. *هكذا تكلم زرادشت*، مصدر سابق، شذرة الشعراء، ص 155,156,157.
66- نيتشه فريدرش. ديوان نيتشه، ترجمة محمد بن صالح، مرجع سابق ، ص15 بتصرف.
67- مرجع سابق، ص 29.

الوجود وضرورته وصيرورته ليست إلّا جمالاً للوجود وإخلاصاً له، بعدم الهروب منه، بل أنّ هذه القسوة في تجليّاتها العميقة، لم تكن إلّا شجاعةً تكسر قيود الجبن والخوف وتكره الهروب إلى عالمٍ آخرَ، هذا الهروب الذي كنّا عبره ننكر كلّ ما في الحياة من أجل السّعي لنيل ثواب عالمٍ آخرَ، مهملين ومتناسين جوهر الحياة الّتي نعيش فيها وحيويّتها، ومقصّرين في فهم أن إنسانيّة الإنسان لا تتحقّق إلّا في هذه الأرض وهذه الحياة وبإرادة هذا الجسد.

لذلك كان لزاماً علينا أن نوضّح لماذا وجّه نيتشه ضربات مطرقته للفلسفة والعلم؟ ولماذا كان الفنّ هو المفتاح، الّذي فتح الأبواب الموصدة'على مصراعيها بما يملك هذا الفنّ من قوّةٍ وفعاليّةٍ في نسج التّنافر عبر توافقٍ هارمونيٍّ والّتي تجلّت في تقديم الرّؤية الجديدة للوجود، بما تحمله هذه الرّؤية من الموسيقى والشّعر والمسرح، في وجه الحياة الّتي ستحيي ما تمّ إغفاله ميتافيزيقيّاً عبر تاريخ الإنسان، وبالرّؤية الجديدة الّتي يقدّمها نيتشه للوجود، ندرك في الفنّ الضّرورة الأساسيّة الأصيلة للعالم والوجود، لأنه وكما وضّحنا فالعلم ليس إلّا تمثيلاً لرؤيةٍ خاصّةٍ تنعكس في الكشف عن الأسباب وعلاقاتها بالنّتائج، والعقل ليس إلّا رؤيةً مجرّدةً للأشياء، والفلسفة تعبيرٌ عن اللّغة المجرّدة لعلاقاتنا مع العالم ومع الذّوات في هذا العالم.

علينا من هذا المنظور إذاً أن ننفتح على العديد من الرّؤئ والتّأويلات والإمكانات المتاحة، ومن بينها الفنّ بروحه الخياليّة والعاطفيّة والحدسيّة، تلك الرّوح القادرة على تحويل هذه الرمزيّة المجردة إلى خفّةٍ ورشاقةٍ ولعبٍ، كما عرّفنا نيتشه على هذه السّمات متجليّةً في الفنّ، هذا الفن الّذي نبّهنا نيتشه إلى ضرورة التّيقّظ إلى وجوده وأهميّته في الفهم والانفتاح على عالمنا الّذي نعيش فيه، فاتحين بذلك أفقنا لتأمّلٍ جديدٍ نحو الحياة وفق منظورٍ ورؤيةٍ جديدةٍ تقوم على التّوازن بين القوى الإنسانيّة، وتعترف بأهميّة العقل إلى جانب الحواس والحدس والغرائز، فنيتشه أدرك عميقاً أنّ تقدّم المجتمعات مشروطٌ بأسبابٍ سيكولوجيّةٍ جماليّةٍ ويحتاج كذلك إلى صحّةٍ اجتماعيّةٍ، على اعتبار أنّ العلم والفلسفة كلاهما غير قادرين على توضيح حركة وخبرة وصيرورة وطاقة الحياة وكذلك غير قادرين على إبراز هذا الشّعور والإحساس بوجودنا، من هنا يأتي الدّور الفعّال للفنّ بصوره وتجليّاته الجماليّة كما بيّنا .

المصادر و المراجع

أولاً – المصادر باللغة العربية

شتاينر، رودولف. *نيتشه مكافحاً ضد عصره*، ترجمة: حسن صقر، ط1، دار الحصاد للنشر و التوزيع، سوريا – دمشق، ،1998.

عنيات، عبد الكريم. *نيتشه و الإغريق- إشكالية أصل الفلسفة*، ط1، منشورات الاختلاف، لبنان،2010.

نيتشه، فريدرش. *أفول الأصنام*، ترجمة: حسان بورقية و محمد الناجي، ط1، أفريقيا الشرق، المغرب،1996.

نيتشه، فريدرش. *إنسان مفرط في إنسانيته* الجزء الأول، ترجمة: محمد الناجي، أفريقيا للنشر، المغرب،2002.

نيتشه، فريدرش. *شوبنهاور مربياً*، ترجمة: قحطان جاسم، ط1، منشورات الاختلاف ، لبنان،2016.

نيتشه، فريدرش. *إرادة القوة – محاولة لقلب كل القيم*، ترجمة و تقديم: محمد الناجي، أفريقيا الشرق، المغرب،2011.
نيتشه، فريدرش.*العلم الجذل*، ترجمة: سعاد حرب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع،2001.

نيتشه، فريدرش. *مولد التراجيديا*، ترجمة: شاهر حسن عبيد، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية،2008.

نيتشه، فريدرش. *هكذا تكلم زرادشت*، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية،1938.

نيتشه، فريدرش. *في جينالوجيا الأخلاق*، ترجمة: فتحي المسكيني، ، ط1، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس،2010.

المراجع باللغة العربية

النجار،عبد المجيد. *خلافة الإنسان بين الوحي و العقل*، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا،1981.

بدوي،عبد الرحمن. *خلاصة الفكر الأوروبي- نيتشه*، ط5، وكالة المطبوعات، الكويت،1975.

بودو، بيير. *نيتشه مفتتاً*، تعريب: أسامة الحاج، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1996،

بورتنوي، جوليوس. *الفيلسوف و فن الموسيقى*،ترجمة: فؤاد زكريا، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،2004.

توفيق، سعيد محمد. *ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور*، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت،1983.

جين، لورانس; شين، كيتي. *أقدم لك نيتشه*، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2002.

ساكس، أوليفر. *نزعة إلى الموسيقى*، ترجمة: رفيف كامل غدار، ط1،الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2010.

فنك، أويغن. *فلسفة نيتشه*، ترجمة: الياس بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،1974.

فيبر، ماكس. *الأسس العقلانية و السوسيولوجية للموسيقى*، ترجمة: حسن صقر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،2013.

فيشر، إرنست. *ضرورة الفن*، ترجمة: أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة،1998.

الدوريات

النمر، محمد نور. *نيتشه و تقويض الميتافيزيقا في الفلسفة المعاصرة*، مجلة نقد و تنوير، العدد الرابع، الفصل الأول، السنة الثانية، مارس- آذار،2016.

المقالات

ألبرت، هانس. *هيدجر والتحول التأويلي*، ترجمة: عبد السلام حيدر، دراسة منشورة على الانترنت، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود للدراسات والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 2016، www.mominoun.com

المصادر الأجنبية

ARTHUR C. DANTO: *Nietzsche als Philosoph*, Wilhelm Fink Verlag,München,1998.

FRIEDRICH NIETZSCHE: *Die Geburt der Tragödie aus dem Geist der Musik*,Frankfurt/Main u.a.1987,Insel Verlag,Erste Auflage.